الأحــــــــــد 07-10-2007

37-الخـــــــــــــــوف مـــن الحـــــــــــــــب (2)

حين كتبت عن **"التواصل البشرى"،** وتلقيت ما تيسر من تعليقات، ووردت بما عنّ لى من ملاحظات، كنت أحسب أنه موضوع ضمن المواضيع، وخلاص، لكننى رحت أراجع مسوداتى، وإنجازاتى، وممارساتى، لأكتشف أن مسألة التواصل البشرى حاضرة بإلحاح فى كل هذا، فى كل شىء، كدت أقول: ما دام الأمر كذلك فلأخصص هذه اليومية لهذا الموضوع دون سواه؟

قفز منى من يسألنى: هل أنت جاد فى هذه النية؟

قلت له: يعنى!

قال: واهتماماتك الأخرى: أين القهر؟ وأين القتال؟ وأين السياسة؟ وأين الظلم؟ وأين الجوع؟ وأين المؤامرات؟ وأين التآمر؟ وأين القتل؟ وأين الجنس؟ وأين الجنة؟ وأين النار؟ وأين المستقبل؟ وأين الحضارة؟ وأين التاريخ؟ وأين الإنسان؟ وأين التطور؟ وأين الجنون؟ وأين الطب النفسى (أوقفت نفسى بالكاد: حتى لا أضيف - مثلما يقول المغنى الشعبى فى الأفراح وحفلات الطهور- وأين انا؟ وأين انت؟ وكل من له نبى يصلى عليه!!)

أزحته عنى لأتوجه إليكم، فقد غلب على ظنى أنكم معه، أنكم لا تصدقونى؟

أليس كذلك؟

أنتم فعلا لا تصدقونى، معكم حق، طيب: نراجع أى كلمة مما سبق، أى كلمة، اختر أى كلمة، وحاول أن تتأمل مضمونها، أو دلالاتها، أو إشاراتها، بدون أن يقفز إلى قاع وعيك (نعم أقصدها، **قاع وليس ظاهر) "ما هو تواصل بشرى"** بشكل أو بآخر.

لن تستطيع.

خذ مثلا القتل، هل يمكن أن يقتل إنسان إنسانا وهو يستبعد وعى التواصل معه؟ **سلبا أو إيجابا، خوفا أو محوا،** سواء كان هذا القتل من قاطع طريق، أو أخذا بالثأر أو انتقاما لشرف على مستوى الأفراد أو العائلات، أو كان قتلا جماعيا فى حرب كحرب العراق للاستيلاء على البترول، أوقتلا تدميريا انتقائيا كتدمير مركز التجارة العالمى أو التطهير

العرقى فى البوسنة وغيرها، أو الإبادة المستمرة فى فلسطين، كله قتل فى قتل، فأين بعد التواصل البشرى؟

حاول أن تتقمص أى قاتل من هؤلاء، وأن تفكر: لو أنه انتظر لحظة قبل أن يضغط على الزناد، أو يصدر أوامره بشن الغارة، وفكر (**أعنى عايش ووعى:** بالمعنى المتعدد المستويات) فى كلمتين هما: **"بشرى" و"تواصل"**، فهل كان يمكن أن يواصل للضغط على الزناد أو إصدار الأمر بالإبادة؟ دون أن يتهدد وجوده هونفسه أنه لم يعد بذلك بشرا أصلا؟

تفكير طفلىّ؟

طبعا.

وهل هو عيب؟

ألم نقدم فى يومية التواصل البشرى أن الإنسان لا يكون إنسانا:

(1) إلا إذا تمتع بدرجة من الوعى لما يجرى به وحوله، داخله وخارجه، الآن وأمس ممتدا إلى الغد، وكان واعيا - بدرجة ما - بهذا الوعى (الوعى بالوعى)

(2) وإلا إذا إذا **شارك آخرا من نفس نوعه**، يمارس ويتصف بهذه المواصفات؟

لكى تقتل إنسانا مثلك من نفس نوعك - تحت أى مبرر- لا بد أن تغيب عن هذا الوعى المشار إليه، وأن تستغنى عن وصوله إلى بصيرتك، لأنه لو وصل فسوف تنتبه إلى حاجتك إلى ضحيتك، لكى تكون بشرا بحق، ولن تستطيع أن تخدع نفسك بأنك سوف تكتفى بمن حولك من نفس فصيلك، يعنى السيد بوش مثلا يحتاج إلى غيبوبة انقراضية حتى يقنع نفسه أنه يتبادل ما يشبه الوعى، والوعى بالوعى مع الست كونداليزا، وهما يتبادلان تقاذف كرة التنس، لا يحتاجان ليكونا بشرا لوعى الطفلة ذات الأحد عشر ربيعا التى قتلوها أول أمس وهى نائمة على سريرها فى العراق (مضروبة فى عشرات الآلاف).

حتى إذا نجح أمثال هؤلاء البلهاء بالاكتفاء بتبادل ما يتصورونه تواصلا مع فصيلهم دون بقية البشر، فإن المصير سوف يكون احتمال أن ينقسم الجنس البشرى إلى عدد متنوع من الأحياء، بحسب عدد الأوطان، أو عدد الأديان، أو عدد الأفراد فى نهاية المطاف، وحين يصل الأمر بالتفكك إلى هذه المرحلة (أى حين يصبح كل فرد نوعا بذاته) ينقرض النوع بأكمله.

تفكير طفلى أيضا؟

نعم.

ألا يعجبك؟

أنت حر

دع كل هذا جانبا، وامسك كلمة كلمة من الكلمات التى ذكرناها، وحاول أن تستبعد منها بُعْدُ **"التواصل البشرى"**، ولن تستطيع.

فإذا رجعت إلى **يومية 26 سبتمبر بعنوان "تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر"**، لوجدتنى قد طرحت عددا من الأسئلة لم أجب على أى منها طبعا، ولوجدتنى أيضا وضعت تعريفا للمرض النفسى أنه **"عسر علاقاتى"**، أو فشل علاقاتى، بما يترتب عليه من آلام وشكوك وانسحاب وعزلة، ولوجدتَ ثمة إشارة إلى أن المرض النفسى من هذه الزاوية، هو نوع من الإبداع السلبى (أو **الأصح:** الإبداع المجهض، لأنه يبدأ إبداعا وينتهى سقْطا مشوها لم يتكون)، وأنه (المرض) يساهم فى كشف صعوبة وفشل محاولات التواصل البشرى، بما يليق بمن هم بشر فعلا، كل ذلك يجعل تناولنا لهذا الموضوع بالتفصيل، مهما بلغت الصعوبة والمخاوف، يأتى فى المقام الأول:

نفتح ملف الحب

أشهر كلمة تصف أكثر أنواع التواصل البشرى شيوعا، بسمعة حسنة غالبا هى كلمة **"الحب"**. فهل نحن نعرف ماذا تعنى؟ ما لها؟ وما عليها؟ ماذا فعلنا بها، وماذا فعلت بنا؟

الشائع الظاهر أن الحب هو كل شىء فى الحياة، وأنه ينبغى أن نحب بعضنا جدا جدا، ونحب الأطفال، والحيوانات، ونحب أعداءنا بالمرة، ونحب والحياة، ونحب ربنا، (الشىء الوحيد الذى رفضت أن أدرجه هو: أن نحب أمريكا أو السيد دبليو)

هذا هو الشائع؟ أليس كذلك؟ فأين الواقع؟ وأين الحقيقة؟

أغوار النفس

كنت أحسب أن ديوانى بالعامية **"أغوار النفس"**، إنما يتناول أشكال وتجليات بعض جوانب ومراحل العلاج النفسى، وقد كتبت - من أول صدوره - ما كان أشبه بشرح مختصر لإمكان توظيفه فى هذا الغرض، ولم أرجع إلى هذا الشرح أبدا، والمصيبة أن الديوان لم يصدر مستقلا عن الشرح أبدا. ولا أحد من النقاد (أو الأطباء) التفت إليه أصلا.

حين رجعت إلى الديوان، وقد قمت بتحديث بعضه مؤخرا، وقرأت هذا الشرح الملحق فى صورته الأولى، تذكرت المرحوم إبراهيم عبد الحليم (كاتب أيام الطفولة ..إلخ) حين أهديته الديوان فرفض هذا الشرح بشدة، وراح يعنفنى أننى أفسدت الديوان به، ترددت أن أقبل نقده ساعتها، برغم أننى فهمت ما يقصد من بعيد. حين تأكدت مؤخرا أنه: **يموت الشعر حين يُشرح**

لكننى لا أكتب شعرا، وفى نفس الوقت أنا لا أنظم العلم رجزا لأسهّل حفظه (مثل ألفية بن مالك). قارنت هذا الشرح المقتضب الذى أغضب المرحوم إبراهيم عبد الحليم، بالشرح المطول لديوانى **"سر اللعبة" (دراسة فى علم السيكوباثولوجى)** وشعرت أن الأخير هو الأنسب إن كنت أريد أن أوصل شيئا محددا من إيحاءات النص الشعرى، وبدأت المحاولة **(شرح متن ديوان أغوار النفس شرحا مسفيضا)**، ثم توقفت.

حين عدت إلى هذا الديوان بمناسبة صدور نشرة الإنسان والتطور هذه، وجدت أننى لم أتناول فى هذا الديوان- تقريبا-

إلا مـوضوع الـتـواصل الـبشرى، **صعوبـاتـه وتـشكيلاتـه، ومحاولات الاقتراب من حل إشكالـه.**

قـلـت لـنفسى: يـا تـرى هل يـتحمل قـارئ هذه الـنشرة أن نـتنـاول الـتواصل الـبشرى من خلال "شرح على المتن" لهذا الـنص الـشعرى، واحدة واحدة، لـعل وعسى !!!

ولـكن مـن هو قـارء هذه الـيومـية؟

إيـش عرفـنى!!
سوف أقـول مـا عنـدى، وهو يـتحمل، أو يـنسحب، الله !!!!

فـلـنغـامـر:
سوف أتـبع هذه المرة أن أتـنـاول الـبعد المراد منـاقـشتـه، مـن خلال قـصيدة أساسيـة فى هذا الـديـوان، ثم أعرج إلى الاستشهـاد بمـا يـتـنـاسب معهـا من قـصائـد أخرى، أو معلـومـات أو حـالات أو إضافـة من أى مـصدر منـاسب

والـيـوم بحسب الـعنوان، الـبعد الـذى سوف نـتنـاولـه هو **"الخوف من الحب"**، وطبعـا سوف يـستغرق أكـثر من يـومـية، لـيس بـالـضروة أن تـكون متـتـالـية، بل إنـه قـد يـستغرق شرح الـديـوان كـلـه،

نـقـرأ معـا
همـا قـصيدتـان تـكمل إحداهمـا الأخرى (وإن كـانـت كل قـصائـد الـديـوان تـكمل إحداهـا الاخريـات)

الـقـصيـدة الأولى بـعنوان **"الـبـِـرك"**ة (وإن كـنت أنـوى أن أغير الـعنـوان بـعد كـتـابـة هذه الـيـومـيـة)

أمـا الـقـصيدة الـثـانـيـة (لمن شـاء أن يـسبـق الأحداث لـيقـرأهـا فى الموقـع مسبـقـا فـهى بـعنوان **"قـلـب الخسّايـة"** وسوف **يجدهـا** فى ديـوان **"أغوار الـنـفس"** فى الموقـع كـمـا ذكـرت)

أنـصح بـأن نـقـرأ الـقـصيدة أولا على بـعضهـا مـرة واحدة،

ثم نـقـوم بـالـتـشريـح، ولـيس بـالـضرورة بـالـتـفسير أو حتى الـشرح.

"نـلـعب حبـا" أم "نحب"؟
تـسـاؤلات وافـتراضات أسـاسيـة:

أولا: لا يـوجد شىء بـين الـبـشر اسمه علاقـة دائـمة (على الأقـل مـا دمنـا نمـوت)، إذن كـل علاقـة هى مؤقـتـة بـالـضرورة، فـمـا الـعمـل؟

ثـانـيـا: إذا كـنـا نـدخل علاقـة نـعرف أنهـا منـتـهـية قـبـل أن نـدخلـهـا؟ فـلمـاذا نـدخلـهـا؟ تـصبيرة ؟ أم تـزجـيـة وقـت؟

ثـالـثـا: بمـا أن كل واحد فـيـنـا هو **"كـثير فى واحد"**، فـإن المـتـاح مـن عـلاقـات إنمـا يـتـم بين المستـويـات المـتـاحـة (فى الـوعـى الـظـاهر مـثـلا، أو بـالجسد الـفـائـر..إلخ)، فـأين بـقـيـّتـنـا ونحن نحـاول الـتـواصل الـبشرى تـكـامـلا، وهو بـطـبيعتـه متـعدد المستـويـات والـتـقـاطعـات **Trans-actional** ؟

قلنا من البداية **(من يوم 26 سبتمبر الماضى)** أننا لا نقدم حلولا جاهزة، لأنها ببساطة، ليست جاهزة. فدعونا نتأمل بعض الحلول التسكينية اللذية الجيدة، ونتساءل: هل هى حب، أم كنظام الحب؟ ربما هذا هو ما أرادت توضيحه قصيدة اليوم (كتبت سنة 1974) ... قلنا: سنقرأ القصيدة على بعضها، ثم نعود إليها فقرة فقرة:

(1)
والعين الهادية النعسانه بتقول أنــــا اهُــهْ.
أنا مِشْ خايفهْ
لو الاقى حد يقرّب لى
ولاقينى برضه باقرّب لهْ
حاخده بالحضن،
وكإنى باحب
ميَّتى رايقهْ، و هاديْه، وخضرا... ٬
وخلاصْ.
(2)
والعين التانية جوّاها بتقول عـْندِكْ:
باين على شكلى مش خايفهْ؟
دانا خايفه أخاف.
والمية هاديةْ عشانْ بِـركَـة،
مش نيل ولا بحـــْــر.
وخضارها مش زرع مـْنـَعـْنـَعْ. دا الَّريم ايـّاه.
مشوارى طويلْ.
خلّونى فْ حالي.
البـِنْــج حَــلَالـِى.
موتى بيحلالى، يا خــــالى.
(3)
عايزانّى أصحَي؟
وجهنّم خوف مالـْـيـانِى،
كما إبر التـَلـْج المحميّة؟!
والناس حوالّى بتتمنظر، زى ما هيَّه!!!؟
من حقــّى أبعدْهُم عــنــى،
ولا أيّها حاجِة تطمّنّى.
أعملْها وكإنّـِـى كإنّــى،
أتـْـمـايلْ، ... يتـقربْ مِـنّى.
أرسْها: عايزة، ومــَـغـْمـُوزة،
أشاور لـُـه، يفتح لى كازوزةْ
(4)
مانا لو حاصْحَى،
ما انَا لازمْ اخافْ
وأموت مالخوفْ
وارجعْ أصحَى ألقانِى باحِس.
وانا خايفة أحِسْ، وخايفـَةْ أبـُصْ
خايفة أطمع فْ وجـُودَكْ جـَنـْبِى
على ما اصـْحــَى وامُوتْ وارْجـَعْ أصـْحَــى،
حاتكون مش فاكر حتى انا مين,

أوْ كُــنـّـا فْ إيـهْ.
(5)
بـتقـولـوا إن الـدنـيـا الـواسعَــهْ:
عمرهـا مـا حـاتبـقـى صحيح واسعة:
إلاّ بـالـنـاسْ
(طَــبْ فــِين الـنـاس؟)
مـا فـيش احسن مـالـضِّحْكِ الـعيرَة،
والحب الـلـى مـا لـوش تـسعيرةْ
.... وكـأنى بـاحب

***

الـقـراءة:

الـعلاقـات الـتجاذبـيـة الـسريعـة، تـتم غـالـبـا، خاصة فى بـلاد تـسمح بـعلاقـات حرة سهـلـة (**هكـذا تـسمى**) وهـى تـضرب عرض الحائـط بـأى تـردد أو خوف، كـمـا أنهـا تـكـسر الـقـيـود (**إن كـان ثمة قـيـود**) سواء كـانـت قـيـودا أخلاقـيـة تـقـلـيـديـة، أم ديـنـيـة، أم تـقـالـيـد، لأنهـا تحدد الـغرض مـنهـا: رغبـة مـتـبـادلـة، واتـفـاق مـعـلـن، وتخلٍّ جاهـز، شىء أشبـه **بـالـوجبـات الـسريـعـة الـلـذيـذة.**

والـعين الهـاديـة الـنعـسانـه بـتقـول أنــا اهُــهْ.
أنـا مــِشْ خايـفـهْ
لـو الاقـى حد يـقـرّب لى
ولاقـينى بـرضه بـاقـرّب لـه
حـاخده بـالحضن،
وكـإنى بـاحب.
مـيــّتى رايـقـهْ، و هـاديْـه، وخضرا...،
..... وخلاصْ.

أهم مـا يمـيـز هـذه الـعلاقـات هـو أنهـا لا تـدّعى الحب، بـل أحيـانـا تـشترط ألا يـكـون فى هـذا الـتـقـارب المحدود حبـا.

الـتعبير الـذى انـتـهـت بـه هـذه الـفـقـرة فى الـقـصيدة، **"وكـأنى بـاحب"**، لا يـظهـر عادة فى وعى مـن يـتـعـاطـون هـذه الـوجبـات الـلـذيـذة المؤقـتـة الـسريـعـة، وهـو تـعبير لا يـتـهـم هـذه الـعلاقـات بـالـزيـف، لـكـنه قـد يـكـون قـد حضرنى -شعرا- بمعنى " مـا دام **الحب الحقـيـقـى غير موجود، فـهـيـا "نـلـعب حبـا"**، (أنـظر بـعد) (مـثـلـمـا كـنـا صغـارا **نـلـعب "بـيـوتـا"** فى الـشرفـة، ونهدّهـا بمجرد أن تـنـادى عليـنـا أمـنـا، أو نـسمع صوت المفـتـاح يـعلـن قـدوم والـدنـا مـن الـعمل).

مـلـحوظة: طالمـا نحن نحاول أن نـفـحص مـعـا مـاهـيـة وطبـيعـة الـعلاقـات الـبـشريـة فى تجلـيـات الـفـطرة **كـمـا خلـقـهـا الله تـعـالى، سعيـا إلى مـا يـلـيـق بـالإنـسان،** فـإن أى تـسرع بـقـراءة هـذه المحاولات مـن مـنطلـق أخلاقـى صرف، أو ديـنى محدود، سوف تحرم مـن يـفـعل ذلـك مـن المتـابـعـة الـنـاقـدة حتى نـصل إلى بـعض مـا يـعين، بـفـضل الله .

أقـول هـذا لأن أغلـب مـا وصلـنى مـن تـعلـيـقـات **حول مـقـال اغتراب الـتـواصل عند الـبـشر**، قـد قـدم حلـولا مـيـتـافـيـزيـقـة جاهـزة، واستـشهـد بـنـصوص بـدت لى - وأنـا آسف- أنـه لم يحط بـكـل أبـعـادهـا،

أنـا لا أرفض أيـا من ذلـك، وإن كنت أتحفظ على استعمال هذا اللفظ الملتبس "ميتافيزيقا"،

كل مـا أرجوه منكم هو **أن نـؤجل الأحكام الآن** ومن لا يستطيع أن يفصل حماسه الجاهز، وقيمه الخاصة، وهو يقرأ معنا هذه الاجتهادات غير المألوفة، فليعتبر أننا ننقد شعرا لا أكثر -

- هذه الملاحظة لم أضعها هامشا لأهميتها)

لكن مَـنْ هذا -ِمن بين تراكيبنا المتعددة/مستويات وعينا - الذى يصر على أن يعلن أن هذا "ليس حبا"، وإنما هو "كنظام الحب"، وبالتالى فإن من يمارسه إنما "يلعب حبا" **Playing love**، فهو مستوى من الوعى أمين حين لا يدعى أنه يحب؟

إنـه الكيان الداخلى الذى يتشوق إلى ما هو غير ذلك، أو ما هو مع ذلك، أو ما هو بعد ذلك.

تعالو نسمع هذا "الوعى" الآخر، الذى قفز لنا من الداخل، ماذا يقول:

والعين التانية من جُـــوَّه بتقول عـْنـدَكْ:
بـاين على شكلى مش خايفهْ؟
دانـا خايفه أخاف.
والمية هاديهْ عشانْ بِـــركَـــة،
مش نيل ولا بحـــــــْـــر.
وخضارها مش زرع مـْرعرع . دا الَّريم ايـّـاه.
مشوارى طويـلْ.
خلّونى فْ حالي.
الـبـِنْـج حَـلَالـِى.
موتِـى بيحلالى، يا خــــالى.

***

ينجح هذا المستوى- مستوى "الوجبات السريعة"، طالما أن هذه العين الداخلية **موافقة، أو نائمة، أو مُستبعدة،** لكنها هنا ليست كذلك: فهى تعلن أن الإقدام على مثل هذه الوجبات **"أن نلعب حبا بدلا من أن نحب"**، ليس شجاعة صرفة كما يبدو لأول وهلة، مع أنه اختراق لحواجز مخيفة كثيرة. مصادر الخوف هنا متعددة، من أول الخوف من المجتمع، حتى الخوف من **الضمير**، حتى الخوف من **المرض**، حتى الخوف من **الرفض**، وما يسهل الإقدام على هذه الوجبات، هو إلغاء كل ذلك، أو أغلبه، ولا شك أن هذا الإلغاء يحتاج إلى شجاعة خاصة

ولكن ثم خوف أكبر من كل هذا يشير إليه هذا الوعى الداخلى.

الخوف الأهم، وهو ما يخص هذه المداخلة هو "الخوف من الحب" الحقيقى، الخوف من أن تنقلب اللعبة جدا، فبدلا من أن "نلعب حبا"، "نحب"، وهنا يصبح الأمر أكثر تهديدا كما سنرى (ليس فقط فى هذه الحلقة، وإنما هذا ما آمل أن نصل إليه فى النهاية).

نفس الخوف من الحب الحقيقى التكاملى، والاقتراب المسئول، موجود فى كل محاولة عمل علاقة بشرية أصيلة، حتى فى العلاقات الروتينية الرسمية، وما لم تبذل الأطراف جهدا حقيقيا فى تعهد وتجديد العلاقة وتنميتها، فإن الخوف من الاقتراب الأصدق قد يكون مسئولا عن التمادى فى التباعد تحت أى حجة، أو يكون مسئولا عن تزايد الاغتراب فى أى صورة وتحت أى تبرير، هذا علما بأن تجديد مستويات التواصل نحو الأعمق هو وارد دائما فى كل مجال ومع أى بشر من أى نوع ما دام الله أكرمهم بشرا.

حتى نعرى طبيعة الخوف من الحب، سوف نقصر حديثنا على المقارنة بين "الحب كما خلقه الله" للبشر خاصة و"أن نلعب حبا"، وهو أمر وارد حتى فى العلاقات الدائمة كما ذكرنا، والتى فى الأحوال العادية تحافظ على دوامها بحماية من خارجها، أو وحرصا على مصالح متبادلة قوية،

وهكذا نعود - **التزاما بالقصيدة** - إلى لعبة **"الوجبات السريعة"** مقارنة "بفطرة الله التى ميز بها البشر" للتواصل النامى المتجدد (المخيف).

أحيانا ما تبدأ هذه اللعبة واضحة الشروط، محددة المعالم، لكن لا توجد أية ضمانات أنها ستقتصر على شروطها، فالمستويات الأخرى للوعى جاهزة، وهى مُستعِدة أن تلغِى، وأن تشوِّه، لكن ليست هذه قضيتنا الآن، الأهم أنها مهددة أيضا أن تتمادى **من "أن نلعب حبا" "إلى "احتمال الحب".**

طيب، وما الذى يخيف فى ذلك؟

فى محاولة الإجابة ونحن نقرأ القصيدة قد ندرك الفرق بين المستويين.

تواصِلُ العين الداخلية التعرية والتوعية لصاحبة الصفقة المعلنة نفسها، فتنبهها إلى ما انخدع فيه "الآخرون" من أن هذه الواجهة من الوجود التى أتمت الاتفاق للعبة الحب، هى منطقة، مهما بدت جميلة ولذيذة، إلا أنها فى النهاية ساكنة بلا موج ولا حركة ممتدة إلا فى مجالها المحدود، وأن الخضرة التى كانت توحى بالزرع قد تتكشف عن قشرة من الفطر ..إلخ، هذه الرؤية المبالغ فيها، والتى قد تفسد هذه اللعبة المحدودة، **هى لا تظهر إلا نادرا لأن هذه العين الداخلية لا تستيقظ هكذا إلا نادرا.**

عدم الاستيقاظ هنا هو نوع من تأكيد نجاح الانشقاق الذى فصل أصحاب اللعبة عن بقية مستويات وعيهم، وهو مفيد لهم (لهما) لأنه يعمق المستوى الفاعل بما يسميه إريك بيرن "التناسب" مع **"استبعاد التداخل" appropriateness & exclusion، بمعنى أن المستوى الذى يتمم اللعبة يكون هو الوحيد الذى يشغل مساحة الوعى فالأداء، لأنه الأنسب لإتمام اللعبة بشروطها، ويكون قادرا عادة على استبعاد كل ما سواه، وبالتالى يعطى للعب طعما مميزا يضاف إليه شكل حرية الاختيار، ومحدودية المسئولية، (إلا أنه أحيانا ما تحدث الإفاقة الصعبة بعد نهاية اللعبة مباشرة)**

تشير القصيدة هنا إلى خفوت هذه اليقظة الداخلية لتنسحب استسلاما بعيدا عن الجارى، وكأنها تشارك بانسحابها هذا فى السماح بلعبة الحب على حساب الحب، "خلونى ف حالى، البنج حلالى، موتى بجيلالى يا خالى"

إذن فهذه الوجبات السريعة تبدو (فى أحسن صورها، على فرض سماح المجتمع، وتماشيها مع منظومة قيم صاحبها) **لذيذة محكمة مفيدة، وهى تبدو أيضا حقا طبيعيا لجوع طبيعى، ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية السليمة، ولا غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله،**

فإذا كانت أغلب الحيوانات لا تجد بديلا عن مثل هذه العلاقات المؤقتة، ولو كرشوة لمعظم إناثه حتى يواصلن مهمة التكاثر (دون التواصل)، فإن الإنسان قد تجاوز هذه الرشاوى (المفروض يعنى)، وأصبح التواصل عنده متعدد المستويات معا،

حتى هذا المستوى الّلِذى الظاهر الذى رضي بلعبة الحب اضطرارا (**إيش رماك على لعب الحب، قال قلة الحب**)، هذا المستوى نفسه، يود لو أنه يكتمل ببقيته، فهو **"يعرض"** ضمنا على وعيه الداخلى أن يشارك فى العلاقة، بدلا من أن يبتعد استسلاما بعد أن ألقى فى وجه اللاعبين هذه الأحكام التى كادت تفسد تلك الوجبة اللذيذة،

هذا الداخل الذى ارتضى التخدير طواعية وهو يعلن **"الخوف من الحب"** الحقيقى، حتى بانسحابه، يعرف أن الحب الحقيقى له مواصفات أخرى، كما أنه يحتاج إلى تعاقدات أخرى، أهمها: **ذلك الاطمئنان إلى عدم التخلى**، وهو ما افتقده فخاف وتراجع حتى عن اليقظة الكاشفة.

عايزانى أصحَي؟
وجهنّم خوف مالْـيانِى،
كما إبر التَلْج المحميّة؟!
والناس حوالّى بتتمنظر، زى ما هيَّه!!!؟
من حقى أبعدهم عنى،
ولا أيّها حاجة تطمِّنِّى.

***

هذا المستوى الداخلى، الذى بدا لنا فى الأول أكثر يقظة، وأمانة فى الرؤية، أصبح - بانسحابه- مشاركا ضمنا فى هذه اللعبة مع أنه بدا لنا فى البداية وكأنه يرفضها، أو على الأقل أنه يعلن أنها ليست كافية لإروائه، إنه بإعلانه **أنه لا يوجد ما يطمئن فى كل ما حوله**، وبالتالى بإصراره على **إبعاد الآخر الحقيقى (إن وجد أو وعد)**، إنما يعطى مشروعية لما بدا أنه يرفضه، مع أنه بذلك يعطيه مبرراته: **"من حقى أبعدهم عنى"، ولا أيها حاجة تطمنى"**

لكن هذه المشاركة من الوعى الداخلى يمكن أن تكون نوعا من المناورة لتشويه ما بدا أنه وافق عليه، فالتعرية التالية، هى نوع من السخرية، لأنه يعلن من جديد أنها **لعبة**

كنظام الحب، وليست حبا، (ومن قال أنها حبا؟) فهو يتمادى فى السخرية حتى تبدو الصفقة رسما كاريكاتيريا متحديا وهو يقول:

أعملها وكإنِّى كإنِّـــى،
أتمايلْ، يتقربْ مِـنِّى.
أرسْمها: عايزة، ومــَغـْمـُوزَة،
أشاور لـُــه، يفتح لى كازوزةْ.

***

الشائع عن هذه الوجبات السريعة، أنها رغبة صريحة متبادلة بين اثنين، وهذا صحيح، **"ارسمها عايزة، ومغموزة"، أشاورله يفتح لى كازوزة"**، لكن فى سياق هذه السخرية، إذا ما تعرت هذه اللعبة أكثر فإنها تحمل احتمال طعن من الداخل قد يفسدها.

فإذا كان هذا الكيان الداخلى غير راض بهذه الصفقات، أو على الأقل غير قانع بها، فلماذا لا يستيقظ، وينشط ويغامر بعلاقة حقيقة؟

ها هو يرد علينا هكذا:

مانا لو حاصْحَى،
ما انَا لازمْ اخافْ
وأموت مالخوفْ
وارجعْ أصحَي ألقانِى باحِسِ.
وانا خايفة أحِسْ، وخايفــةْ أبـُصْ

***

هكذا أعلن الدخل صراحة أن "الخوف من الحب" ليس خوفا من الحب ذاته، بقدر **ما هو تحسّبا للترك،**

ولو أتيحت لهذا الوعى الأعمق فرصة أن يقود مستويات الوعى معا للتضفر المتبادل المتجدد، للتكامل، بيقظة كافية، إذن لوجب الخوف أيضا،

لكن ثم خوف آخر من عمق التداخل فى العلاقة الحقيقة، ذلك العمق الذى يسمح بإعادة الولادة (البعث) من خلال تجديد الوعى "معا".

هنا تصبح البصيرة رائعة ومعطلة أيضا،
الموت هنا ليس فقط من شدة الخوف،

العلاقة الحقيقية هى موت وبعث، والبعث عموما تصاحبه زيادة فى حدة الوعى لانه وعى جديد متخلق بعد خوض غمار المجهول "معا"،

فالخوف الذى يمتد إلى البعث بعد الموت، هو خوف من أى جديد مجهول تفجره صدق العلاقة وحركيتها وأصالتها:

"وارجع أصحى ألقانى باحس"،
هذا خوف جديد غير خوف الترك الذى أشرنا إليه حالا،

خوف جديد لأنه يلوح بالاعتراف بآخر حقيقى، يُعتمد عليه، ويبقى فى وعينا حتى لو رحل

بديهى أن هذا نموذج بعيد المنال لدرجة الاستحالة أحيانا، وذلك نظرا لقصور نمو البشر فى المرحلة الحالية، ومجرد التلويح به دون ضمان تحقيقه واستمراره هو رعب ما بعده رعب،

وهو ما نقدم من أجله هذه الحلقات عن **"الخوف من الحب"**.

خايفة أطمع فْ وجُوْدك جَنْبى
على ما اصْحَى وامُوتْ وارْجَعْ أصْحَى،
حاتكونْ مش فاكر حتى انا مين,
أوْ كُنَّا فْ إيهْ.

***

يقال إن ضمان التخفيف من رعب "الترك" **(الهجر)**، هو ألا تكون العلاقة ثنائية استبعادية بشكل مطلق **(إنت وبس اللى حبيبى)**، وبالتالى فحضور الناس (الآخرين) سواء بالعلانية، أو باعتبارهم "موضوعات مشارَكة"، أو "احتمالات بديلة"، هو مصدر لطمأنينة من نوع آخر، هذا ما تقوله الفقرة قبل الأخيرة،

لكن العين الداخلية تسارع بنفى حتى هذا الاحتمال أيضا، ربما لفرط الخوف من القرب حتى أنها تعمم الإنكار إلى الناس جميعا (**طب فين الناس؟**)، فلم تقصره على افتقادها لوجود آخر مشارك لا يتخلى:

بتقولوا ان الدنيا الواسعَةْ:
عمرها ما حاتبقى صحيح واسعة:
الاّ بالناسْ
(طَبْ فِين الناس؟)

***

حين يصل الخوف من الاقتراب من الآخر حقيقة وفعلا، يصاحبه الخوف من الحب المتعدد المستويات "معا"، حين يصل هذا وذاك إلى إلغاء الناس بهذا الحسم، وليس فقط التشكيك فى استمرار الآخر مسئولا (حاتكون مش فاكر حتى انا مين،.... أو كنا ف إيه) حين يصل الأمر إلى هذا المستوى من الرؤية، يعلَن اليأس من الحب، حِتى لو كان يأسا ناتجا من الخوف منه، نتيجة لوضع شروط معجِزة لاستمراره، وتهيئة ظروف لضمان تجديده بلا توقف.

تنتهى القصيدة بإعلان اليأس الذى يسمح بـ **لعب الحب بديلا عن الحب.**

ما فيش احسن مالضِّحْكِ العيرَة،
والحب اللى ما لوش تسعيرةْ:
. . . . .
وكإنى باحِبْ.

وبـعـد؟
بـعـد أن أنهيت هذه المحاولـة الـبدايـة، هممت أن اقـرر ألا **أنـشرهـا أصلا.**

كـانـت مخاوف مـوضوعيـة ومـهمة، لا مـا نـع مـن أن أعرض بـعضهـا كـالـتـالى:

1- سوف يـعلـن أغلـبنـا أنـه لم يـفـهم، وقـد يـكـون هذا وارد وهـو حقـه فـعلا، لـكن مـا علـينـا، مـن لا يـفـهم، يـترك الأمـر كـلـه، فـقـد لا يخصه، حتى لـو كـان عدم فـهمه لأنـه لا يـريـد أن يـفـهم، أو أنـه يخاف أن يـفـهم.

2- سوف يـفـهم بـعضنـا مـا لم أقـصده، حين يـقـرأ جزئـيـة دون أن يـكمل بـقـيـة الـسيـاق

3- قـد يـكـتشف آخرون مـدى صعوبـة تـكـويـن علاقـة، فـيـتـمـادى فى الـلاعلاقـة، أو فى علاقـات اغترابـيـة، أو يـبرر لـنـفسه الـوجبـات الـسريـعـة (كـل بـطريـقـتـه، وتـبريـراتـه، وفـتـاواه الجاهـزة أو الجديـدة)

4- قـد يـترتـب عـلى فـهم طيـب أمـين نـسبى، تـقـلـيـبٌ غير طيـب لـعلاقـة سلسلـة مـتـواضعة، كـان يـتـمنى صاحبـهـا أن تـستـمـر مـستـورة والـسلام

5- قـد تـبـادر الأغلـبيـة بـقـيـاس مـا قـلـتـه ومـا لم أقـلـه بمقـايـيـس لم أتـعـرض إلـيـهـا أصلا، لا بـالـرفـض ولا بـالـقـبـول، فـلـكـل لـغـتـه فى سيـاقـه

ومحـاذيـر وتخـوفـات أخرى عديـدة

لـكـن إذا كـنـت سأعجز أو أعدل عن تـوصيـل مـا وصلـنى مـن روعة فـطرة الله كـمـا خلـقـنـا،

وأن أساهم فى المشاركـة فى تـكـريم الإنـسان كـمـا كـرمـه ربى

إذا كـنـت سأخفـى، وأستـسهل وأكـتـفـى بـالـنـصح والإرشاد وتحصيـل الحاصل

فـلـمـاذا كـل هذا الـعـنـت وإضاعة الـوقـت، وقـتى ووقـت الـنـاس الـذيـن يـنـتـظرون مـنى شيـئـا حقـيـقـيـا مختـلـفـا؟

هـكـذا تـراجعت عن الـتـراجع،
وفـوضت أمـرى إلى الله
وعلـى الله قـصد الـسبـيـل ومـنـهـا جائـر.
مـا أصعب كـل هذا؟
ولـكـن، هـل ورطت نـفـسى فى هذه الـيـومـيـة إلا لهاذا؟
مـا رأيـكـم أفـادكم الله؟

مـرة أخرى: الـقـصيـدة الـتـالـيـة الـتى سـتـنـتـاول مـن خلالهـا نـفـس الأبـعـاد، وأبـعـاد أخرى لمشكـلـة الـتـواصل الـبـشرى هى بـعـنـوان **"قـلـب الخسّـايـة"،**

وهى مـوجودة فى ديـوان "أغوار الـنـفـس" فى المـوقـع لمـن شاء أن يـطلـع علـيـهـا مـسبـقـا.

- أستبعد من هذه العلاقات الـ "قوام قوام" علاقات الدعارة "مع أنها مثال جيد للعلاقات (اللاعلاقات) السريعة المؤقتة، مع فارق أنها بمقابل وبلا اختيار متبادل إلا فى حدود قوانين وأخلاق السوق، لهذا أستبعدها من هنا،

لكن حتى فى علاقات الدعارة مدفوعة الثمن، أحيانا ما ترفض المرأة فيها القبلات، باعتبار أن وجهها وشفتيها - بما تقوم به من احتمالات الحب والتواصل- ليست ضمن محتويات أو شروط هذا اللقاء، فهما خارج الصفقة، هذا ما أخبرنى به صديق له فى هذه الأمور عن بعض خبرته فى الخارج، حين رفضت المرأة الفاضلة أن يقبل صديقى شفتيها، مشيرة إلى أن عليه أن يلتزم بمنطقة السماح: نصفها الأسفل وما يعلوه حتى الرقبة !!!).

الترجمة الإنجليزية الحرفية للممارسة الجنسية هى "يعمل حبا " Making love